مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد العاشر - السنة الخامسة - رجب ١٤٤٢هـ/فبراير ٢٠٢١م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)

موضوعات العدد:

- تدبر القرآن الكريم وآثاره
  محمد الأمين أمير — د. جمال أحمد نشير بادي
- مظاهر بعثة الطير في ضوء سورة النمل
  د. محمود بن عبد الجليل روزن
- الجواب البلاغية في سورة الفاتحة «دراسة تحليلية»
  د. محمد وسيم خان
- آيات الأخذ بالبأساء والضراء في سورة الأنعام (٤٢-٤٤) «تفسير وتأصيل»
  د. مسعد بن سعيد الصبلي
- الإشارات لما في مقدمة الشاطبية من الآداب والتوجيهات
  د. طارق بن عبد الودود النهلي العتري
- تقرير رسالة علمية بعنوان:
  تدبر القرآن الكريم عند الإمام ابن القيم رحمه الله «دراسة تأصيلية»
  للباحث: عبد العزيز بن محسن آل الأولان
- تقرير عن مجلة تدبر خمس سنوات (١٤٣٨-١٤٤٢)/(٢٠١٦-٢٠٢١)
- تقرير عن ملتقى التفسير الأول بدولة الكويت «مئاني»
  التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مجلة تدبر

تدبُّر القرآن الكريم وآثاره

محمد الأمين أمير

قدم للنشر في: ١٤٤٢/١/٢٨
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٣/٣
نشر في: ١٤٤٢/٧/١

باحث بمرحلة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، قسم القرآن والسنة - كلية أصول الدين بكوالالمبور بأطروحة: «تدبُّر أذكار القرآن الكريم وأثر العمل بها في حياة القلوب والأبدان: دراسة وصفية تحليلية». إشراف الأستاذ الدكتور: جمال أحمد بشير بادي

- حصل على درجة الماستر من كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر بباتنة بأطروحة: «الدلالات الدعوية لآيات الجهاد في القرآن الكريم».
- البريد الشبكي: 1amine1amir1@gmail.com

د. جمال أحمد بشير بادي

Prf. Dr. Jamal Ahmed Bashier Badi

- عضو هيئة التدريس بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
- حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحة: وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق
- حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها بأطروحة: الآثار الواردة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جمع وتخريج ودراسة.
- **بعض نتاجه العلمي:** كتاب شرح الأربعين النووية باللغة الإنجليزية، كتاب التفكير الإبداعي في الإسلام قضايا ومفاهيم.
- البريد الشبكي: badi@iium.edu.my

مجلة تدبر

مستخلص البحث

موضوع البحث:

يتحدث هذا البحث عن موضوع تدبر القرآن الكريم وأثره الإيجابي على العبد.

أهداف البحث:

١- التعريف بمفهوم التدبر وذكر حكمه وأهميته ومعرفة مقاصده.

٢- بيان أصول التدبر وموانعه والثمار المرجوة منه، ومعرفة طريقة السلف مع التدبر.

مشكلة البحث:

تثير مشكلة هذا البحث مسألة تدبر آيات القرآن، وأثر العمل بها في إحياء القلوب والأبدان، وكذا تعلق حياة هذه القلوب بحياة الأبدان وبحياة الأمة ككلٍّ. ومن جهة أخرى فإن فهم القرآن الكريم عن طريق التدبر والعمل به أمر مفقود عند كثير من الناس، ولذلك جاء هذا البحث ليجيب عن الأسئلة التالية:

١- ما مفهوم التدبر في القرآن الكريم؟

٢- ما قواعد التدبر وأركانه؟

٣- ما أهمية التدبر؟

٤- ما ثمرة التدبر وآثاره؟

نتائج البحث:

١- لا يكون التدبر إلَّا بتحقيق أصوله وانتفاء موانعه.

٢- تدبر القرآن الكريم يقوىٰ ويزيد عند القارئ بمعرفة حقيقة التدبر ومعرفة مقاصده.

٣- من أهم ثمار تدبر القرآن الكريم درجاته التي ينالها القارئ؛ وهي كالتالي: التفكر والإيمان، التأثر وخشوع القلب والهداية، الاستجابة والخضوع، استخراج الحكم واستنباط الأحكام.

الكلمات المفتاحية: تدبر - القرآن - أثر.

Contemplating the Noble Quran and its Impacts

Prepared by:

mohammed el amine amir(1)

PhD researcher at the International Islamic University in Malaysia, Department of the Quran and the Sunnah, College of the Fundamentals of Religion, Kuala Lumpur

Email: 1amine1amir1@gmail.com

and

Prof. Jamal Ahmed Bashier Badi(2)

Member of the Faculty at the College of Divine Revelation and Human Sciences, the International Islamic University in Malaysia

Email: badi@iium.edu.my

Research Abstract

◆ Topic of the Research:

This paper addresses the contemplation of the Noble Qur›an and its positive impact on the worshipper.

◆ Objectives of the research:

1- To introduce the concept of contemplation and highlight its religious ruling, importance and objectives.

(1) He obtained a Master›s Degree from the Faculty of Islamic Sciences at El-Hajj Lakhdar University, Batna, with a thesis entitled: "Da'wah related indications of Jihaad Verses in the Noble Qur'an."

(2) He obtained a Master›s Degree from the College of Da`wah and Fundamentals of Religion at the Islamic University of Madinah with a thesis entitled: The Necessity of abiding by Muslim Community and Avoiding Dissension. He obtained a PhD degree from the same university with a thesis entitled: The Narrations reported about the Topics of Belief from the Biographies of the Most Prominent of the Nobles by A-Imam Adh-Dhahabi (Collection, Investigation and Study

2- To clarify the principles, hindrances and desired fruits of contemplation and show how Muslim Predecessors dealt with it.

◆ Problem of the Research:

The problem of this research is the contemplation of the Quranic verses and the effect of acting accordingly on bringing life to hearts and bodies, as well as the interrelationship between the life of hearts and bodies and that of the Muslim nation as a whole. On the other hand, understanding the Noble Qur›an through contemplation and acting upon are neglected by many people, and therefore this research is conducted to answer the following questions:

1- What is the concept of contemplation in the Noble Quran?

2- What are the rules and principles of contemplation?

3- How important is contemplation?

4- What are the fruits and impacts of contemplation?

◆ Findings of the Research :

1- Contemplation materializes only by sticking to its principles and eliminating its hindrances.

2- Contemplation of the Noble Quran is enhanced by readers by finding out what it is and learning about its objectives.

3- One of the primary fruits of contemplation of the Noble Quran is its spiritual levels that readers can reach: reflection and faith, passion, devoutness, responsiveness, submission, learning lessons and deriving rulings and norms.

Keywords: Contemplation, the Quran, Effect.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الصادق الأمين، سيد الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، اللهم اجعلنا ممن يذكرك كثيرًا، ويسبحك بكرةً وأصيلًا، وارزقنا انشراح الصدر وطمأنينة القلب، والعمل بالقرآن، وفهمه، وصحة البدن وقوته.

أما بعد؛

فإن القرآن هو كلام الله ﷻ الذي اختصر به علينا الزمان والمكان لمعرفته ﷻ حق المعرفة، فعرَّفنا بذاته العلية وصفاته وبأسمائه الحسنىٰ وأفعاله، دون أن يترك نفوسنا تتيه للوصول إليه، فمن عرف القرآن فقد عرف الله، ومن عرف الله فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.

ولـمَّا كان القرآن الكريم هو طريق الهداية، وفيه أصول الأحكام وقواعد العبادات وسبل الخير والفلاح؛ فإن جهل الأمة الإسلامية وتغافلها عن القرآن الكريم جعلها تعيش في دوامة مشكلات وأزمات لا تنتهي، الأمر الذي يثير القلق في نفوس المسلمين ويسبب مزيدًا من التراجع والوهن.

وما زاد الطين بلَّة هو سوء قراءة هذا الضعف، وعدم تشخيص هذا المرض، الذي لا يزال يتفاقم يومًا بعد يوم، وسنةً بعد سنة، ولعل أهم خطوات الخروج من هذه المشكلات والأزمات تتمثل في حسن قراءتها؛ بالنظر إليها من مختلف جوانبها؛ لفهمها علىٰ الوجه الصحيح، ثم بناء الحل المناسب لها في ضوء القرآن الكريم، وذلك من خلال الفهم الصحيح له، وعدم إغفال الكيفية الصحيحة للانتفاع

به؛ لأن فقه القراءة هو طريق الوصول إلىٰ الحل الناجع والسبيل الواضح.

والـمُشاهِد واقع الأمة الإسلامية اليوم يرىٰ أنها تعيش في زمان أعرض فيه كثير من الناس عن تدبر القرآن والعمل بالأذكار؛ «إذ إن صلتهم بكتاب ربهم يكتنفها الهجر والعقوق، وذلك بسبب الغياب القلبي والعجز عن تدبر القرآن»(١) والعمل به.

وعليه ينبغي أن نعلم أن الإيمان بالقرآن لكونه كتاب الله، والتصديق به فقط، لا يكفيان، بل يحتاجان معهما إلىٰ إقبال القلب عليه، تلاوةً وفهمًا وتدبرًا وعملًا في كل ميدان من ميادين الحياة؛ لأن القرآن كتاب حياة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]، يقول السيوطي في تفسيره: «هو هذا القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة»(٢).

والتدبر والعمل يزيد من حلاوة القرآن وبركته والانتفاع به؛ يقول ابن تيمية: «مَن أصغىٰ إلىٰ كلام الله وكلام رسوله، بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام، لا منظومه ولا منثوره»(٣).

كما أن تدبر القرآن الكريم لا يكون إلَّا بفهم ما يُتلىٰ من الآيات، مع حضور القلب، وخشوع الجوارح، وإخلاص ما يلزم من العمل؛ ولذلك «فإن أنفع شيء للعبد في معاشه ومعاده هو تدبر كتاب ربه، وإطالة تأمله، وتلاوة حروفه، وإقامة حدوده، واتباع محكمه، والإيمان بمتشابهه، والتفرغ لتعلمه، والقيام بتعليمه؛ حيث

(١) **تدبر القرآن الكريم**، لعبداللطيف التويجري (١٣٣).

(٢) **تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي (٤/ ٤٤).

(٣) **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لابن تيمية (٢٧٠).

إن هذه الأمور تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر، وتجعل في يده مفاتيح كنوز السعادة»[(١)]، بل إن ذلك هو الغاية من إنزاله؛ قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وفي الآية: «دليل علىٰ أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر، والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ أي: ليتعظ أهل العقول، والألباب جمع لب، وهو العقل»[(٢)].

وليس المقصود من التدبر القراءة وحسن التلاوة، وتعلم التجويد وأحكامه، وحفظ آياته وأجزائه فقط، بل الأمر يتعدىٰ ذلك؛ يقول أبو بكر الآجري في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧]، إن الله ﷻ أخبر «أن المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون شاهدًا بقلبه ما يتلو وما يسمع؛ لينتفع بتلاوته للقرآن بالاستماع ممن يتلوه، ثم إن الله ﷻ حثَّ خلقه علىٰ أن يتدبروا القرآن»[(٣)]، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، أي: «فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و﴿أَمۡ﴾ بمعنىٰ: بل»[(٤)]، أي بل علىٰ قلوب أقفالها، فالمقصود بالتدبر الاتعاظ والخشوع، والعمل بما في كتاب الله ﷻ من شرائعه وأحكامه، والالتزام بأوامره وزواجره.

ومما سبق يتبين لنا أثر تدبر القرآن الكريم والعمل به في حياة القلوب والأبدان، وسيزيد هذا الأثر وضوحًا في تناولنا لمباحث هذه الدراسة.

---

(١) **كيف نتدبر القرآن**، لفواز أحمد زمرلي (٦، ٧).

(٢) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشوكاني (٢٣/ ١٢٦٣، ١٢٦٢).

(٣) **أخلاق أهل القرآن**، للآجري (٣٦).

(٤) **معالم التنزيل**، للبغوي (١١٩٩).

منهج البحث

يتبع البحث المناهج التالية:

١- **المنهج الوصفي:** ويُعرف هذا المنهج بأنه: «طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته، من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها».(١) وسيتم توظيف هذا المنهج في تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالتدبر ثم تصنيفها على حسب ما تقتضيه مراحل البحث.

٢- **المنهج التحليلي:** وهذا المنهج هو: «أسلوب البحث الذي يهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة، ووصفها وصفًا موضوعيًّا ومنهجيًّا وكميًّا»(٢). وسيتم استخدام هذا المنهج لدراسة المفاهيم الأساسية المكونة لعناصر البحث بتتبع جزئيات الموضوع من خلال أقوال العلماء وتفاسيرهم، والباحثين في المسألة ومؤلفاتهم؛ التي عالجت هذه الإشكالية.

خطة البحث

قد اشتملت خطة البحث بعد هذه المقدمة، على تمهيد وثمانية مباحث، وهذا على النحو التالي:

التمهيد.

المبحث الأول: مفهوم التدبر في اللغة وفي اصطلاح المفسرين.

المبحث الثاني: حكم التدبر.

---

(١) **مناهج البحث العلمي**، لمحمد سرحان (٤٦).

(٢) **المرجع نفسه** (٦٠).

المبحث الثالث: أهمية تدبر القرآن الكريم.

المبحث الرابع: ثمار تدبر القرآن الكريم.

المبحث الخامس: أصول تدبر القرآن الكريم.

المبحث السادس: موانع تدبر القرآن الكريم.

المبحث السابع: طريقة السلف الصالح وحالهم مع التدبر.

ثم بعد هذه المباحث تأتي الخاتمة التي ذُكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم بعد ذلك تأتي الفهارس، هذا، والله أسأل التوفيق والسداد والخروج بالمفاد الذي يُستفاد، وأن يقبلنا ويتقبل منا صالح الأعمال وأن يرفعنا في عليِّين نحن ووالدينا ومن سبقونا بالإسلام مع النبيِّين والصِّديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم التدبر في اللغة وفي اصطلاح المفسرين

◆ أولًا: تعريف التدبر لغة:

كلمة تدبر يدور معناها اللغوي حول أواخر الأمور وعواقبها، وفي ذلك اخترنا بعض التعريفات:

١- قال ابن فارس «دبر: الدال والباء والراء، أصل هذا الباب أنَّ جُلَّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء»(١).

٢- ويقول الزجاج؛ التدبر هو: «النظر في عاقبة الشيء»(٢)؛ وهذا الذي يقول به صاحب اللسان عن التدبير في الأمر: «أن تنظر إلىٰ ما تؤول إليه عاقبته»(٣).

٣- وقال الجرجاني؛ التدبر هو: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»(٤).

٤- ومن التعريفات اللغوية أيضا(٥)؛ أن التدبر في الأمر هو: استدامة النظر

(١) **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس (٢/ ٥، ٦).

(٢) **لسان العرب**، لابن منظور (٤/ ٢٧٣).

(٣) **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي (٣٠٥).

(٤) **معجم التعريفات**، للجرجاني (٤٩).

(٥) انظر: **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، للطيار ١٨٥.

والتفكر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرةً بعد مرة.

ومن المرادفات التي تقارب لفظة تدبر: «تفكر، تذكر، تأمل، نظر، اعتبار واستبصار»(١).

◆ ثانيًا: تعريف التدبر اصطلاحًا

الاستعمال الاصطلاحي لهذه اللفظة يرجع لمعناه اللغوي، وهذا ما ذكره المفسرون في تعريفاتهم؛ منها:

١- ابن عطية: التدبر هو: «النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء»(٢)، وقريب منه قول الرازي بأن التدبير والتدبر: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها»(٣).

٢- الشوكاني: التدبر: «أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلىٰ ما تصير إليه عاقبته، يقال: تدبرت الشيء: تفكرت في عاقبته وتأملته، ثم استعمل في كل تأمل»(٤).

٣- الآلوسي: أصل التدبر هو: «التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»(٥).

٤- ابن عاشور: التدبر هو: «التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة

---

(١) **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لابن القيم (١/ ٥٢٤).

(٢) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية (٢/ ٨٣).

(٣) **مفاتيح الغيب**، للرازي (١٠/ ٢٠٠٢).

(٤) **فتح القدير**، للشوكاني (٥/ ٣١٤)، بتصرف.

(٥) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي (٥/ ٩٢).

المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ، كثير المعاني، التي أُودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر»(١).

ومن ذلك تدبر القول(٢)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، والقول هنا هو كلام الله المنزل الذي يخاطَب به المشركون الذين لم يدَّبَّروا القرآن، كما في قوله أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، فتدبر الكلام بصفة عامة هو أن يُنظر في أوله وآخره، ثم يُعاد النظر مرَّةً بعد مرَّة.

ولقد ذكر المفسرون كذلك تعريفات عدة تدور حول معنًىٰ واحد، وهو التفكر والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه والعمل به؛ يقول:

٥- الزمخشري: تدبُّر القرآن هو: «تأمل معانيه وتبصر ما فيه»(٣).

٦- ابن عاشور في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، «أي: يتأمَّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيَيْن: أحدهما أن يتأمَّلوا دلالة تفاصيل آياته علىٰ مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبُّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأمَّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته علىٰ أنَّه من عند الله، وأنَّ الذي جاء به صادق»(٤).

٧- صاحب الكشاف: أن تدبر الآيات هو: «التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلىٰ معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة»(٥).

---

(١) **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٢٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم (١/ ٥٢٥).

(٣) **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري (٥/ ٢٤٩).

(٤) **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٥/ ١٣٧).

(٥) **تفسير الكشاف**، للزمخشري (٢٣/ ٩٢٥).

ومن التعريفات المعاصرة قول سليمان السنيدي: «تدبر القرآن هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقةً، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ علىٰ ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه»(١).

وبالنظر إلىٰ هذه التعريفات نقول: إن تدبر القرآن الكريم هو إدراك معانيه، والتفكر في غاياته، بُغية الانتفاع بآياته، والعمل بأوامره.

(١) **تدبر القرآن**، لسلمان السنيدي (١١).

المبحث الثاني

حكم التدبر

مسلك تدبر القرآن الكريم وفهمه والعمل به هو الأصل الأصيل الذي لا صلاح لنا بدونه، وهو الذي جاءت به نصوص الوحي تترىٰ؛ من أجل ترسيخه فينا، حتىٰ صار من بدهيات الدين، وقد ذكر جملة من العلماء حكم تدبر القرآن الكريم بين الوجوب والندب، فمن ذلك ما نصَّ عليه ابن حزم الظاهري بقوله: «إن تدبر القرآن فرض، ومعنىٰ تدبره فهم معاني ألفاظه، وكيف لا يكون فرضًا وهو بيان ما افترض»(١).

وقال بذلك القرطبي؛ أي: «علىٰ وجوب التدبر في القرآن ليُعرف معناه»(٢)، واستدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وتابعه الشوكاني أيضًا؛ في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، «علىٰ وجوب التدبر للقرآن؛ ليُعرف معناه، والمعنىٰ: أنهم لو تدبَّروه حق تدبره لوجدوه مؤتلِفًا غير مختلِف، صحيح المعاني، قوي المباني، بالغًا في البلاغة إلىٰ أعلىٰ درجاتها»(٣).

وقد يكون حكم تدبر القرآن الكريم مندوبًا، وذلك حسب قدرات كل قارئ

---

(١) **رسائل ابن حزم الأندلسي**، لابن حزم (٣/ ١٩٨).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٦/ ٤٧٧).

(٣) **فتح القدير**، للشوكاني (٥/ ٣١٤).

وفهمه وطاقاته الإدراكية التي يستطيعها، ومع هذا فلا يُعذر أحد بتركه للتدبر مطلقًا، خاصةً أن القرآن قد يسره الله للذكر(١)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وكذلك المثل الذي ضربه الله ﷻ في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]؛ هو «حثٌّ علىٰ تأمل مواعظ القرآن وتبيين أنه لا عذر في ترك التدبر، لأنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها علىٰ صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشقِّقة من خشية الله»(٢)، هذا حال الجبال التي لا تتحرك، فكيف بمن سخَّر الله له كل شيء؟

وقد ذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ﷺ: «أن قول بعض متأخري الأصوليين: إن تدبر القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا لمجتهد خاصةً.. قولٌ لا مستند له من دليل شرعي أصلًا، بل الحق الذي لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين علىٰ التعلم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمها والعمل بما علم منهما.. ولو آية واحدةً أو حديثًا واحدًا»(٣).

فتدبر القرآن مطلوب، لا تقوم حياة المؤمن إلا به، فهو ضرورة، ورفعة في الدنيا والآخرة، قال عمر ﷺ: أَمَا إنَّ رسول الله ﷺ قد قال: إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»(٤).

---

(١) **تدبر القرآن الكريم**، لعبداللطيف التويجري (٦١). بتصرف.

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٢٠/ ٣٨٨).

(٣) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشنقيطي (٧/ ٤٥٩). باختصار.

(٤) **سنن الدارمي** (٤/ ٢١١٩)، كتاب فضائل القرآن، باب إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين (ح٣٤٠٨)، وقال الداراني: إسناده صحيح.

ولقد جاء الأمر بتدبر القرآن الكريم في النصوص القرآنية، وذلك بلفظة صريحة، كقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وإمَّا من خلال مخاطبة أولي الألباب والنُّهىٰ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

وممَّا يدلُّ كذلك علىٰ الحثِّ، والأمر بتدبر القرآن في السنة النبوية حديث عائشة ﵂، لَـمَّا سألها عبيد بن عمير بقوله: «أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ قال: فسكتت، ثم قالت: لَـمَّا كان ليلةٌ من اللَّيالي قال: «**يا عائشةُ، ذَرِيني أتعبَّدُ اللَّيلة لربِّي**»، قلتُ: والله إنِّي لأُحبُّ قُربَك، وأُحِبُّ ما سَرَّك. قالت: فقام فتطهَّر، ثمَّ قام يُصلِّي، قالت: فلَم يزل يبكي حتَّىٰ بَلَّ حِجرَه، قالت: ثمَّ بكىٰ فلم يزل يبكي حتَّىٰ بَلَّ لحيتهُ، قالت: ثمَّ بكىٰ فلم يزل يبكي حتَّىٰ بلَّ الأرض، فجاء بلال يُؤْذِنُه بالصَّلَاة، فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسول الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم وما تأخَّرَ؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟! لقد نزلت علَيَّ اللَّيلةَ آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾** [آل عمران: ١٩٠]، الآية كلها»»[(١)]، وهكذا كان تدبره ﷺ؛ تدبُّر من يتعظ بما أُنزل إليه ويعمل بما أُمر به.

(١) **صحيح ابن حبان** (١٥٧). كتاب الرقائق، باب التوبة (ح٦١٩). وقال الخداش: حديث حسن.

المبحث الثالث

أهمية تدبر القرآن الكريم

لا شك أن التدبر له أهمية بالغة، تجعل الإنسان يسعىٰ جاهدًا لتحصيل هذا التدبر فهمًا وعملًا، وتظهر هذه الأهمية من خلال ما يلي:

١- أن التدبر هو الغاية الكبرىٰ من تنزيل كلام الرقيب الأكرم، فعزَّ مِن قائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وغيرها من الآيات السالفة الذكر التي جاء فيها الحثُّ علىٰ تدبُّر القرآن الكريم، قال الإمام السعدي في تفسيره لهذه الآية: إنَّ «الحكمة من إنزاله؛ ليتدَبَّر النَّاس آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحِكَمَها، فإنه بالتدبُّر فيه والتأمُّل لمعانيه وإعادة الفكر فيها مرةً بعد مرةٍ تُدرَك بركتُه وخَيرُه، وهذا يدلُّ علىٰ الحثِّ علىٰ تدبُّر القرآن، وأنَّه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة علىٰ التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود»(١).

٢- الاقتداء بالنبي ﷺ في تدبره للقرآن الكريم، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فكان صلوات ربي وسلامه عليه يقرأ كلام ربِّه ﷻ قراءةَ المتدبِّر الفاهم العامِل بمَا علَّمه الله سبحانه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «صلىٰ رسول الله ﷺ ليلةً فقرأ بآيةٍ حتىٰ أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٧/ ١٤٩٣).

فلَمَّا أصبحَ، قلت: يا رسول الله، مازلت تقرأُ هذه الآيةَ حتىٰ أصبحتَ، تركع بها وتسجد بها، قال: «إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيهَا، وهي نائلة -إن شاء الله- لمن لا يشرك بالله شيئًا»(١)، فانظر كيف بَقي النبي ﷺ مع الآية الواحدة يسأل بها حتىٰ أُعطي وأُمَّته من خيرها وبركتها، فماذا بنا؟! لا ننفع أنفسنا وأُمَّتنا؛ بتدبُّرنا لكتاب ربِّنا، واقتدائنا بنبينا ﷺ في منهجه، وهديه، وتدبره في الآية الواحدة حتىٰ أصبحَ طوالَ ليلةٍ كاملة.

٣- ضعفنا وحاجتنا إلىٰ ما يقوِّي القلب ويحركُه، ولا يكون ذلك إلَّا من خلال تدبُّر القرآن العظيم؛ يقول العلَّامة ابن باديس ﷺ: «قلوبنا معرضة للضعف عن القيام بأعباء التكليف، وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة، ويبعث فيها الهمة، هو القرآن العظيم، فحاجتنا إلىٰ تجديد تلاوته، وتدبره، أكيدة جدًّا؛ لتقوية قلوبنا باليقين، وبالعلم، وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل»(٢)، وهكذا مَن ليس لديه هذه القوة، و«لم يكن له علم وفهم وتقوىٰ وتدبر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئًا»(٣)، ولم ينتفع منه جزءًا.

٤- حالة الأمة اليوم والأحداث الجارية والمتغيرة «تحتاج منا إلىٰ عكوف علىٰ كتاب الله تعالىٰ؛ لاستلهام المنهج الرباني في الحكم والتعامل، وجرِّبْ أن تقرأ القرآن قراءة خاصةً لهذا الغرض؛ فستجد القرآن وكأنه يتنزل علىٰ الأحداث، ويكشف لك سنن الله في الأمم والمجتمعات»(٤).

---

(١) **مسند أحمد** (٣٥/ ٢٥٧)، (ح٢١٣٢٨). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) **آثار ابن باديس**، لابن باديس (٤١٧).

(٣) **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي (٢/ ١٥٥).

(٤) **ليدبروا آياته**، لمجموعة من المؤلفين (ج٤/ ١٢).

وممَّا يستوقفنا في حالة الأمة اليوم من الفوضىٰ العارمة؛ ما قاله ابن كثير في قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]، إنَّ هذا تَهييجٌ لِلأُمَّة علىٰ الاستغفار، وعلىٰ التسبيح أطراف الليل والنهار(١).

فلَو هُيِّجَت الأُمَّة اليوم علىٰ الاستغفار لفُتحت لها المغاليق حتىٰ لو كانت من المستحيلات، فلو صَدَقنا لنُصِرنا، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، ولو لاحَظنا هذه الآية التي يبشِّرُ الله تعالىٰ فيها عبادَه المؤمنين بالنَّصر؛ لوجدناها أَتَت قبل أن يأمرهم الله تعالىٰ بالصبر والاستغفار والتسبيح، وذلك ليَعلَم عبادُه أنه قدَّم لهم النصر الأكيد، وما بقي عليهم إن أرادوه حقًّا؛ إلَّا التدبر والعمل بما أمرهم به ﷻ.

(١) انظر: **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (٧/ ١٥١).

المبحث الرابع

ثمار تدبر القرآن الكريم

لتدبر كتاب الله ﷻ ثمار كثيرة، ينالها المتدبر، من أهمها ما يلي:

أولًا: التفكر والإيمان: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يجعل قارئه يتفكر في ملكوت الله، وينظر إلىٰ بديع خلقه، ويأخذ الحِكَم والعبر، ويزيد إيمانه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فتدبُّر القرآن يزيد صاحبه إيمانًا ويقينًا، وكلمَّا أكثر الإنسان من تدبُّر القرآن فإنه يزيد إيمانه ويزيد يقينه ويطمئنُّ قلبه، ويزيد علمه وفقهه، ويجعله ذلك من المتفكرين أُولي الألباب.

ثانيًا: التأثر وخشوع القلب والهداية: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يجعل المرء يتأثر لسماع القرآن، ويلين قلبه وتخشع جوارحه؛ ومن ذلك ما قاله الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣]، والمراد هنا بالحديث هو القرآن الكريم، يقول تعالىٰ ذكره: تقشعرُّ من سَماعه إذا تُلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؛ يعني إلىٰ العمل بما في كتاب الله والتصديق به[1]، ولذلك فإن المؤمنين قد بلغ بهم من التدبر ما إن يسمعوا معه كلام الله تَوْجَل قلوبهم، وتدمع أعينهم، وتصلُحُ أعمالهم.

ثالثًا: الاستجابة والخضوع: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يطوع الإنسان إلىٰ

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٩٢).

ربه ﷻ؛ وهؤلاء هم الذين مدحهم الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وصدقوا به؛ ثم استجابوا لربهم سبحانه، ولنبيه ﷺ فيأتمرون بما أمرا به، وينتهون عمَّا نهيا عنه، ولذلك جاءتهم البِشارة من الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، ولهم الرفعة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة؛ يقول النبي ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرَأْ، وارْقَ، ورتِّلْ كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»(١)، وهذا لا يكون إلا لمن صاحَبَ القرآن وتخَلَّق به.

رابعًا: استخراج الحِكم واستنباط الأحكام: هذه الثمرة خاصة بالعلماء والمجتهدين؛ فمن ثمار تدبر القرآن الكريم وجود علماء ربانيين يَعلَمون الكتاب ويتدبرونه، الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، فيستخرجون من القرآن الحِكَم ويستنبطون منه الأحكام، وهم الذين يُرَبُّون النَّاس ويُعلِّمونهم أمور دينهم، فجعلهم الله مِنَّةً للأمة، ونبراسًا ينير للسائلين ما لا يعلمون من أمور دينهم الحنيف؛ ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وعلىٰ العموم مِمَّا سبق نقول: إن من أهم ثمار التدبر: التأمل والفهم الصحيح لمعاني القرآن؛ وذلك بمعرفة الله، والعلم بالحلال والحرام. وكذا نيل الهداية الربانية، وزيادة الإيمان، وطهارة القلب؛ وذلك بالعمل الصواب المُتقبَّل. والتقرب إلىٰ الله ومحبته، واستشعار عظمته وعظمة هذا القرآن، والدخول في صفوة أولياء الله ﷻ؛ الذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه سبحانه.

(١) **مسند أحمد** (١١/ (٤٠٤، (ح٦٧٩٩). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

المبحث الخامس

أصول تدبر القرآن الكريم

الـمُلاحظ أن الآيات الواردة في القرآن الكريم، الداعية إلىٰ التدبر، جاءت بصيغة الفعل، وليس الاسم، وفي ذلك إشارة واضحة إلىٰ أن تدبر القرآن وظيفة عقلية، وفعل من أفعال القلب، فالإنسان يولد وهو مزود بقدرات عقلية متعددة، ومنها القدرة علىٰ التدبر والنظر في العواقب، وتأمل النتائج؛ وهذا ما يحتاج إلىٰ تنمية وتطوير وتدريب؛ لتحسين هذه القدرة(١).

وفي هذا المبحث سنتكلم عن المنهج الصحيح في أصول فهم القرآن المجيد وتدبره؛ وعلىٰ المتدبر أن يتبعها ولا يُخلَّ بها؛ يقول ابن عبدالبر: «طلب العلم درجاتٌ ومناقِل ورُتَبٌ، لا ينبغي تعديها، ومن تعدَّاها جملةً فقد تعدَّىٰ سبيل السلف ﷺ، ومن تعدَّىٰ سبيلهم عامدًا ضلَّ، ومن تعداه مجتهدًا زلَّ»(٢).

والمراد بالأصول هنا: ما يقوم عليه التدبر، كالأساس للبنيان، فلو اختل أصلٌ من أصوله، لضَعُف التدبر ولانهار البنيان، وهذه الأصول ثلاثة: تحقيق المطالب الإيمانية، تحقيق المطالب العملية، وتحقيق المطالب العلمية(٣)، وفيما يلي بيانُ تفصيلها:

---

(١) انظر: **المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**، لسعد حنتوس (٦).

(٢) **جامع بيان العلم وفضله**، ليوسف النمري (٢/ ١١٢٩).

(٣) انظر: **دليل فهم القرآن المجيد**، لابن مسفر العتيبي (٤٠).

الأصل الأول: تحقيق المطالب الإيمانية: من أساسيات التدبر تحقيق المطالب الإيمانية التي يندرج تحتها ما يلي:

١ - الإيمان: ينبغي الإيمان بالله، وتجب معرفته؛ من خلال فهم كلامه وتدبره، ومعرفة صفاته ﷻ، وهذا الذي حثَّ الله تعالىٰ عباده عليه؛ قال محمد بن الحسين الآجري: «ألا ترون -رحمكم الله- إلىٰ مولاكم الكريم، كيف يحثُّ خلقه علىٰ أن يتدبروا، ومن تدبَّر كلامَه عَرَف الربَّ ﷻ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضُّله علىٰ المؤمنين، وعرف ما عليه من فرضِ عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذِر ممَّا حذَّره مولاه الكريم، ورغِب فيما رغَّبه فيه»(١)، وهذا هو عين التدبر.

وممَّا يزيد الإيمان: تعلم القرآن وتعليمه، يقول النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»(٢)، ويدخل في ذلك: «تعليم حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبدالله، وعبدالله بن عمر، وغيرهما: تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن، ثم تتعلمون الإيمان»(٣)، فكان الصحابة ﭫ يتعلمون الإيمان قبل القرآن، فيزدادون به إيمانًا؛ مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فرحًا وسرورًا؛ لِمَا رزقهم الله من الإيمان، وامتن عليهم بالهداية والرشاد وتدبر هذا الكتاب.

---

(١) **أخلاق أهل القرآن**، لأبي بكر الآجري (٣٦).

(٢) **صحيح البخاري**، (١٢٨٤)، **كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه** (ح٥٠٢٧).

(٣) **مجموع الفتاوىٰ**، لابن تيمية (١٣/ ٢١٧). وانظر: سنن ابن ماجه (١/ ٢٣)، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في الإيمان (ح٦١). وقال محمد فؤاد عبدالباقي: إسناد هذا الحديث صحيح ورجاله ثقات.

٢- تقوى الله ﷻ: والتقوى هي أن يخاف العبد خالقه ويخشاه، ويجتنب كل ما نهاه عنه، ويأتمر بما أمره به سبحانه، فتكون تقوى الله وتعظيمه ﷻ من خلال تعظيم كلامه وآياته، والشعور بفضله وكرمه وامتنانه، والتقوى لا تكون بالتمني، ولكن ما كان في القلب -كما قال النبي ﷺ: «**التقوى ها هنا**»، ويشير إلى صدره، ثلاث مرات(١)- وعملٌ بالجوارح بما يُرضي الله سبحانه؛ فيترك الزواجر ويقوم بالأوامر.

وقد قيل: إن عمر بن الخطاب سَأل أُبيَّ بن كعب رضي الله عنه عن التقوى، فقال له: «أما سلكت طريقًا ذا شوكٍ؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمَّرت واجتهدت. قال: فذلك التقوى»(٢).

فالتقوى مطلوبةٌ من متدبر القرآن الكريم، بل وهي التي تأتي بالتدبر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، فالذين يتقون هم الذين يتدبَّرون، وعليه ينبغي للمتدبِّر الازدياد من التقوى كما أمر الله في قوله سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، لأن التقوى تجلب محبة الله؛ ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ومن أحبه الله فهو معه في حفظه ونصرته؛ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

٣- الإخلاص: الإخلاص أساس التدبر، وهو عكس الرياء، والقراءة الخالصة هي التي يراد بها وجهه سبحانه، وليس شيئًا سوى ذلك؛ كحب الشهرة وثناء الناس، وغيرهما من المطالب الدنيوية، فينبغي للمتدبر حال قراءته للقرآن الكريم أن

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١١٩٣). كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، (ح٢٥٦٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٦٤).

يستحضر رؤية الله تعالىٰ له، وإن لم يكن يراه فإن الله تعالىٰ يراه؛ كما قال ذلك النبي ﷺ في حديثه عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١)، فالإخلاص والنية الصالحة تحقق الخير العميم، إذ يبلغ المرء بإخلاصه ونيته ما لا يبلغه بعمله.

والرياء يذهب بالعمل كله؛ لأن الله أغنىٰ الشركاء عن الشرك، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وفي هذا يروي أبو هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في أول الناس يُقضىٰ يومَ القيامة عليه، فذكر منهم: «**ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنَّك تعلَّمتَ العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئٌ، فقد قِيل. ثم أُمر به فسُحبَ علىٰ وجههِ حتىٰ أُلقِيَ في النار...**»(٢)، وهذا جزاء الذين أشركوا مع الله غيره في العبادات، ولم يُخلصوا له أعمالهم، فحقت لهم نار جهنم.

فعلىٰ المتدبّرِ أن يحذَرَ من الرياء والشرك؛ لأن الله تعالىٰ لا يقبلُ العمل الذي فيه رياء، ولا الذي أُشرك فيه معه غيره سبحانه، وليس شيء هو أفضل للعبد من أن يُخلص أعماله لله؛ لأنه صفة عباد الله المتقين والمصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام؛ فقد امتدح الله نبيه ﷺ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

---

(١) **صحيح البخاري** (٢٣)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، (ح٥٠). **صحيح مسلم** (٢٤)، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو، وبيان خصاله (ح٩).

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة ٣٣، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٤٣، ج٢، ص٩١٩، رقم ١٩٠٥.

٤- **الخشوع**: ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والخضوع، بين الخوف والرجاء؛ ليحصل له المقصود، وهو التدبر المطلوب؛ لتنشرح به الصدور، وتستنير به القلوب، وإذا قويت للعبد مراقبة الله وخشيته له سبحانه، قَوِيَ تدبُّره لِمَا يتلوه من الآيات والذكر الحكيم.

ومن دلائل الخشوع: البكاء، وهو صفة العالِمين بالله؛ الذين امتدحهم الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ويخرون للأذقان؛ «هذه مبالغة في صفتهم ومدحٌ لهم، وحقٌّ لكل من تَوسَّم بالعلم وحصَّل منه شيئًا أن يجري إلىٰ هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويَذِّل»(١).

ويستحب البكاء والتباكي لِمن لا يقدر علىٰ البكاء؛ لأنه صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين(٢)، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، قال عبدالأعلىٰ التيميُّ: «فمن أوتي من العلم ما لا يبكيه، فليس بخليق أن يكون أُوتي علمًا ينفعه»(٣)، ولذلك كان الصحابة أعلم الناس بعد الأنبياء، وأخشاهم لله؛ فهم خير القرون، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، فكانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، و﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وكانوا ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

ومن هؤلاء الصحابة الكرام عمر ﷺ؛ الذي كان يمرُّ بالآية في وِرده، فتخنقه،

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (١٣/ ١٨٩).

(٢) **الأذكار النووية**، للنووي (٩٠).

(٣) فضائل القرآن، **للهروي** (١٤٠).

فيبكي حتىٰ يلزم بيته، فيعوده الناس يحسبونه مريضًا[1]، **وعن عبيد بن عمير قال: صلىٰ بنا عمر بن الخطاب ﷺ صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف فقرأها حتىٰ بلغ:** ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٨٤]، بكىٰ حتىٰ انقطع فركع، وفي رواية أنه لـمَّا انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، بكىٰ حتىٰ سُمع نشيجه من وراء الصفوف[2].

وهكذا هو حال المؤمنين الصالحين في أثناء تلاوة القرآن؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وإذا لم يجدوا الخشوع والبكاء سألوا عنه؛ فقد روي عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ أنه «قرأ سورة مريم، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ السجدة ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: ٥٨]، فسجد بها، فلَمَّا رفع رأسه قال: هذه السجدة قد سجدناها، فأين البكاء؟»[3].

الأصل الثاني: تحقيق المطالب العملية: مما يعين علىٰ التدبر أن يتَّبع قارئ القرآن في قراءته طريقًا محددًا، بخطوات واضحة؛ وذلك من خلال هذه المراحل:

١ - آداب التلاوة: وأول هذه المراحل هو الأخذ بآداب التلاوة:

أ - اختيار أفضل الأماكن لتلاوة القرآن -عن أبي ميسرة قال: «لا يذكر الله إلَّا في مكان طيب»[4]- وكذا اختيار الأوقات الفاضلة؛ كالثلث الأخير من الليل، ووقت السحر، وغيرها من الأوقات التي تسكن فيها النفس ويطمئن فيها القلب، ومن «لا

(١) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للأصفهاني (١/ ٥١).

(٢) فضائل القرآن، **للهروي** (١٣٧، ١٣٨).

(٣) **المرجع السابق** (١٤٠).

(٤) **التبيان في آداب حملة القرآن**، للنووي (٧٩).

يعطي القرآن إلَّا فضول أوقاته، ولحظات ترقبه وانتظاره، فجدير ألَّا تخلص إلىٰ قلبه كثير من معانيه»[(١)].

ب- ينبغي علىٰ القارئ إذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وغيره.. يقول النبي ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[(٢)]، وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: «**إن أفواهكم طرق للقرآن، فطيِّبوها بالسواك**»[(٣)]، وعلىٰ القارئ كذلك أن يأخذ بالسُّنن المنقولة عن النبي ﷺ حال قراءة القرآن، كالطهارة وغيرها.

ج- أن يأتي القارئ بالاستعاذة والبسملة: فلقد أقسم الشيطان بعزة الله أن يُغوي البشر ويحرفهم عن الصراط المستقيم؛ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ولذلك أُمرنا أن نستعيذ منه؛ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، فالشيطان يصرف الإنسان عن فهم القرآن وتدبره، ويشغله بكل شيء عدَا المقصود من القرآن والانتفاع به، فوجب الالتجاءُ إلىٰ الله من الشيطان ليسلم الإنسان من شره.

ثم تأتي بعد ذلك البسملة، وهي قول القارئ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وهي موجودة في أوائل سور القرآن، ما عدا ﴿بَرَاءَةٌ﴾، وحقيقتها أنها «دعاء وتوسل إلىٰ الله بثلاثةٍ من أسمائه: الله، الرحمن، الرحيم؛ ليمدك بالعون والبركة فيما أنت مقبل عليه، وما تريد أن تقوم به»[(٤)]، ومن ذلك أن يفتح الله عليك باب تدبر كتابه عند قراءته.

---

(١) **أفلا يتدبرون القرآن**، لناصر العمر (١٥٣)، بتصرف.

(٢) **صحيح البخاري** (٤٦٥)، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم (ح١٩٢٣).

(٣) **سنن ابن ماجه** (١/ ١٠٦)، أبواب الطهارة وسننها، باب السواك (ح٢٩١)، صححه الألباني.

(٤) **المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**، لسعد حنتوس (٦١).

٢- الإنصات وحسن الاستماع: الله يوجهنا إلىٰ أن نتعامل مع القرآن إذا قُرِئَ بالاستماع والإنصات؛ الذي يولِّد الخشية والإنابة من الله؛ طلبًا لرحمته ومغفرته، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وكذلك ما رُوِي عن النبي ﷺ أنه كان يحب سماع القرآن من غيره، فقال لصحابيِّه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اقرأ عليَّ، قال: قلت: أأقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت النساء حتىٰ إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال لي: كُفَّ، أو: أمسك. فرأيت عينيه تذرفان»(١)، وهذا خشوع منه ﷺ وإخبات لكلام ربه سبحانه، وهذا هو مقصود الاستماع إلىٰ القرآن؛ مساعدةً علىٰ تدبره، خاصةً إذا كانت التلاوة حسنة؛ فالنفس تطيب للاستماع لها، فحسن الاستماع يهيئ لحسن الفهم، وحسن الفهم يهيئ لحسن التدبر.

٣- التلاوة الحسنة: جاءت أحاديث عدة تحثُّ علىٰ تحسين الصوت بتلاوة القرآن؛ منها:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يأذن الله لشيء ما أذِنَ لنبي أن يتغنىٰ بالقرآن**»(٢).

ب- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»(٣)، وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين:١]، فلم أسمع أحدًا أحسن صوتًا أو قراءةً منه»(٤).

---

(١) **صحيح البخاري** (١٢٨٩)، كتاب التفسير، باب البكاء عند قراءة القرآن (ح٥٠٥٥).

(٢) **المرجع نفسه** (١٢٨٣)، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنَّ بالقرآن (ح٥٠٢٣). ورواه مسلم في **صحيحه** (٣٥٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (ح٨٩٢).

(٣) **سنن ابن ماجه** (٤٢٦)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن (ح١٣٤٢)، وقال الألباني في صحيح الجامع: حديث صحيح.

(٤) **صحيح البخاري** (١٨٦٥)، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» (ح٧٥٤٦).

ج- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن**»(١).

هذه الأحاديث وغيرها ممَّا يدلُّنا على أنه يُستحب تحسين الصوت، دون الإخلال بأحكام التجويد، كترعيد الغنن وتمطيط المدود وغيرها، فليس المطلوب من قراءة القرآن مجرد التغني بألفاظه مع الصوت الجميل بالأداء فقط؛ فإنه لا يكفي ما لم ينتفع الإنسان بالقرآن ويستفِدْ منه ويخشع عند سماعه؛ قال السندي: «المطلوب من تحسين الصوت بالقرآن أن تنتج قراءته خشية الله، فمن رأيتم فيه الخشية فقد حسن الصوت بالقرآن المطلوب شرعًا، فيُعد من أحسن الناس صوتًا»(٢).

٤- تركيز جميع الحواس: مما يُعين قارئ القرآن على التدبر أن يركز جميع حواسه حال تدبُّره، فيتفاعل قلبه مع الآيات بحضوره، وتتحرك جوارحه مع الهمَّة وقت تلاوته، وعلى الإنسان أن يجاهد نفسه في ذلك؛ فالقلب يتقلب، والنفس تتبدل، فإن غاب قلبك في البداية لا تفشل؛ لأنه سيأتي في النهاية.

٥- التدرج بالآيات: من الأمور التي تزيد من سهولة التدبر: التدرج في قراءة الآيات، بحيث يقرأ القارئ عددًا قليلًا من الآيات على مهل، ليفهمها ويسهل عليه العمل بها، وذلك أن القرآن لا يمكن أخذه دفعة واحدة، وهو قد نزل مفرَّقًا على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كلام الله ثقيل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، يثقل على الإنسان أخذه إلَّا بتُؤَدة؛ فعن بعض أصحاب رسول الله ﷺ

(١) **المرجع نفسه** (١٨٦٠)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦ﴾، (ح٧٥٢٧).

(٢) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للمباركفوري (٧/ ٢٩٣).

«أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرىٰ حتىٰ يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل».(١)

٦- التلاوة بتفهم وتمهل: ممَّا يعين القارئ علىٰ التدبر: القراءة بتمعُّن في معاني الآيات وموضوعات السور، فيقف لإعمال العقل وفهم المراد، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذُّوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة»(٢)، أو إكمال جزء أو ختمة، بل يكون المقصود هو التدبر والتفكر فيما يقرأ من آيات الله ﷻ.

فينبغي للتالي أن يستوضح من كل آيةٍ ما يليق بها، ويتفهم ذلك، فإذا تلا مثلًا قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فليعلم عظمته ويتلمح قدرته في كل ما يراه، وإذا تلا قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، فليتفكر في نطفة متشابهة الأجزاء، كيف تنقسم إلىٰ لحم وعظم، وعرق وعصب، وأشكال مختلفة من رأس ويد ورجل، وهكذا ليتأمل بديع الخلق ودقة الصنع(٣).

فالتلاوة بتفهم وتمهل هي القراءة التأملية التي تكون بالوقوف علىٰ الآية وقفة متأنية فاحصة مراتٍ ومرات؛ ليستخرج منها بعض ما يتفضل الله تعالىٰ به عليه من الفهم والتدبر، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي: «اقرأه علىٰ تمهل؛ فإنه يكون عونًا علىٰ فهم القرآن وتدبره»(٤)، ورُوي أن

---

(١) **مسند أحمد** (٣٨/ ٤٦٦)، (ح٢٣٤٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) **أخلاق أهل القرآن**، لأبي بكر الآجري (٣٨).

(٣) **مختصر منهج القاصدين**، لابن قدامة (٦٦).

(٤) **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (٨/ ٢٥٠).

رجلًا قال لعبدالله بن عباس: «إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاثٍ، فقال: لَأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبرها وأرتِّلها، أحبُّ إِليَّ مِن أن أقرأ كما تقول»(١).

الأصل الثالث: تحقيق المطالب العلمية: من أصول التدبر تحقيق المطالب العلمية، التي تتمثل في المعارف اللازمة لفهم القرآن ومعانيه، وهي التي ينبغي الحصول عليها كما يلي:

١- دراسة اللغة العربية: دراسة اللغة العربية من أَوْلَىٰ الأولويات لفهم القرآن وتدبُّره؛ فالذي لا يعرف اللغة كيف له أن يعرف المعنىٰ؟! قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، ومنه أن الله ﷻ «أنزل القرآن علىٰ نبيه بلسان عربي مبين؛ فمن لم يعلم النحو واللغة لم يعلم اللسان الذي به بيَّن الله لنا ديننا وخاطبنا به، ومَن لم يعلم ذلك فلن يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولا بد منه علىٰ الكفاية»(٢)، ولو سقط علم النحو واللغة، لسقط فهم القرآن وتدبُّره، ولسقط الدين جملةً، ولذلك تعلم اللغة العربية هو أمرٌ في غاية الأهمية في مجال تدبر القرآن الكريم، ولذلك نجد كثيرًا ممن دخل في الإسلام يتمنىٰ لو أنه يعرف العربية جيدًا؛ ليفهم ما يُتلىٰ من القرآن الكريم، ومن السُّنة النبوية، ومن كُتُب العلماء، فنجده يبذل قُصارىٰ جهده في تعلم هذه اللغة، ويجاهد نفسه في سبيل تحقيق ذلك؛ فهي من أصعب اللغات في العالم.

٢- دراسة كتب التفسير: التفسير مطلوب؛ لفهم ما استصعب فهمه في القرآن، وذلك لمعرفة مكنون القرآن وما يحمله من معانٍ ومقاصد، ولمعرفة الكلمات الغريبة ودلالاتها، ومعاني الجُمل وسياقها، والآيات وتناسبها، والتراكيب وارتباطها.

---

(١) **فضائل القرآن**، للهروي (١٥٧).

(٢) **رسائل ابن حزم**، لابن حزم (٣/ ١٦٢).

فعلىٰ المتدبر أن يجعل معه تفسيرًا لمفردات القرآن، فلا يمرُّ بالآيات إلَّا وقد فهم معناها ومرادها، ولذلك «مرحلة التدبر لا تأتي إلا بعد الفهم، إذْ لا يمكن أن يُطلب منك تدبر كلام لا تعقله»(١)، فالذين لا يعرفون معنىٰ الآيات ذمهم الله وجعلهم في مرتبة الكفار والمنافقين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فهم لا يفهمون القرآن ولا يفقهونه لأن قلوبهم مقفلة عنه، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

ويرتبط التفسير بالتدبر ارتباطًا وثيقًا؛ إذْ إن المفسرين في أخذهم لأقوال العلماء يعتمدون علىٰ فهمهم واجتهادهم في الآيات لأخذ القول الراجح والأصح بعد إعمال الفكر والنظر من أجل البيان(٢)، ولكنَّ هناك فرقًا يخفىٰ علىٰ كثير من الناس، ينبغي التنبُّه له، بين التدبُّر والتفسير؛ لكي لا يحصل الخلط بينهما: «فالتفسير والبيان يقفان عند حدود الفهم، أما التدبر فهو بداية تفعيل الفهم»(٣) المصاحب للعمل، بمعنىٰ أن التفسير وسيلة للتدبر ومرحلة من مراحله، والتدبُّر أعم، فليس بالضرورة أن يكون كل تفسيرٍ تدبرًا، ولكنَّ أغلب التدبر هو تفسير لآيات الله، مع إعمالٍ لها، بحيث يندمج النظري مع التطبيقي، فيكون تدبُّرا.

٣- طلب العلم والدعاء: متدبِّرُ القرآن لا ينبغي إلَّا أن يكون طالبًا للعلم؛ لأن من لوازم التدبر العلم والمعرفة بالفنون المتعلقة بالقرآن، وذلك لا يكون إلا بحضور مجالس العلم وسؤال العلماء الموثوق بهم، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأهل الذكر هم أهل القرآن، الذين يَعلمونه ويُعلِّمونه،

(١) **مفهوم التفسير**، لمساعد الطيار (١٨٧).

(٢) **المرجع نفسه** (١٨٩)، بتصرف.

(٣) **نظرة في تدبُّر الوحي**، لطارق زوكاغ (١٨).

فهم مصابيح الأرض تُنير للعابرين سبيلهم، وتجيب للسَّائلين عن إشكالهم، ولذلك فإن من أبواب التدبر والفهم: إكرام أهل العلم وحملته، وإنزالهم منازلهم، والإفادة منهم.

فلا يمكن للمتدبِّر أن يَعمَل إلا بعد أن يَعلَم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: علىٰ علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية(١)، **فعلىٰ الإنسان أن يعلم أولًا ليفهم ويعقل ما يتلو من القرآن الكريم، فقد قال الله تعالىٰ:** ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، فذكر العلم أولًا؛ ليأتي بعده العمل.

ومما يعين علىٰ التدبر كذلك الدعاء؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ومنه دعاء الله سبحانه ﷻ أن يفتح علىٰ عبده فتوحات العلم وأبواب تدبُّر الذكر، فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يدعو بذلك، بقوله: «اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك علىٰ كل شيء قدير»(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **للسعدي** (٨٠٨).

(٢) **العقد الفريد**، لابن عبد ربه الأندلسي (٤/ ١٦٥).

المبحث السادس

موانع تدبر القرآن الكريم

موانع تدبر القرآن الكريم هي نقيض ما ذكرناه في أصول التدبر، لأن التلبس بضدها يحول بين القارئ وبين تدبره للقرآن الكريم، ويمكن حصر موانع التدبر إلىٰ عقدية وعملية، فيما يلي:

أ- الموانع العقدية: من أهم موانع تدبر القرآن عقديًّا التالي:

١- الكفر والنفاق من أهم موانع تدبر القرآن الكريم؛ فقد خاطب الله الكفار والمنافقين بذلك، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وغيرها من الآيات، فلم يدبَّروا القول، وما منعهم من ذلك إلَّا صِفاتهم التي تلازم كفرهم ونفاقهم، كالخداع والفسق والأخلاق السيئة.

٢- الجدال بغير علم، والجهل بالقرآن الكريم هو من موانع تدبر آيات الله تعالىٰ، وهذا نتيجة لعدم الفهم الصحيح لمعاني كلام الله تعالىٰ وإدراك مراده سبحانه، قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨]، وهذا الجدال بغير علم لا يكون من ورائه إلَّا ردُّ الحق ولَبسُ الباطل؛ مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

٣- الاستكبار عن الحق وتكذيبه هو من معوقات التدبر، فقد قال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن

يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]؛ وذلك لأن أنفسهم عرفت الحق وأنكرته؛ فقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤].

٤- الغفلة والإعراض عن القرآن من موانع التدبر، فلا يمكن أن يتدبر القرآن من هو غافل ومُعرض عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [يس: ٤٦]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ولذلك صرف الله قلوبهم لتدبر القرآن، وفهم الآيات، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧].

ب- موانع عملية: كما رأينا آنفًا أن للتدبر موانع عقدية؛ فله كذلك موانع عملية، تمنع القارئ من الوصول إلىٰ الفهم الصحيح الذي يُنتج عملًا صائبًا، فصاحب القرآن تعرقله موانع في طريقه لتدبر القرآن الكريم، وعوائق، نذكر من أهمها ما يلي:

١- الذنوب والمعاصي سبب في الحرمان من تدبر القرآن الكريم والخير العظيم، وهي سببٌ في ضلال السبيل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فبسبب هذه المعاصي -التي عمَّت بها البلوىٰ اليوم- قد انصرفت بها الأمة عن فهم القرآن الكريم وتدبره.

٢- الاشتغال بالدنيا ممَّا يُذهب التدبُّر والتفكر في آيات القرآن الكريم، وهذا يحدث بانشغال الذهن حال التلاوة بالمُلهيات وشواغل النفس وحاجاتها «التي تُلحُّ علىٰ النفس وتخايل لها، وبذلك تحجب القلب عن التدبر والوعي والتلقي، فينبغي علىٰ قارئ القرآن في أثناء قراءته ألَّا يكون جائعًا أو عطشانًا، أو مهمومًا قلقًا مضطربًا»[(١)]، أو

(١) انظر: **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، لصلاح الخالدي (٥٣).

بأي شيء يشغل باله عن التركيز والتدبُّر.

٣- السرعة في التلاوة وعدم الفهم في القراءة هما من موانع التدبر، فكيف يتفكر في القرآن من يمُرُّ بالآيات مرَّ الكرام؟ لا فَقِهَ ما يقول، ولا فَهِمَ ما يتلو، وهذا هو خلافُ ما كان عليه النبي ﷺ من التأني في القراءة، والتَروِّي في الدِراية، وذلك لـمَّا سُئل أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كانت مدًّا، ثم قرأ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، يمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم»(١)، فهي قراءة متمهلة ومتدبرة.

٤- الاشتغال بأحكام التجويد وتحسين الصوت ممَّا يُذهب المقصود من التلاوة، وهو التدبر، فيهتم القارئ بالتجويد وأحكامه وضبط مخارج الحروف وصفاتها، وكل ذلك، وإن كان حسنًا، ولكنْ فوقه ما هو أهم منه وأتم وأَوْلَىٰ وأحرىٰ، وهو الفهم لآيات الله ﷻ والتعمق فيها والعمل بها(٢).

٥- من موانع التدبر الإخلال بالتدرُّج في تدبُّر القرآن الكريم، والتدرُّج هنا هو الأخذ بوسائل التدبر التي ذكرناها آنفًا، فيبدأ بما يسهل عليه من الآيات، بحيث ينتقل فيها من الأسهل إلىٰ السهل، ويأخذها علىٰ مراحل، واحدةً واحدةً، فيفهمها بالتدريج؛ لكي لا تمل النَّفس وتنتكِس ويثقل عليها الأمر؛ «فإن الله لا يملُّ حتىٰ تملُّوا»(٣)، ولذلك ينبغي التدرج لتدبر القرآن الكريم، فلو قطعنا حلقةً من حلقاتِه لانحَلَت سِلسلة التدبُّر، ولَجُعِل بين القلب وبين فهم القرآن حائل.

---

(١) **صحيح البخاري** «١٢٨٧، باب مدِّ القراءة، كتاب فضائل القرآن (ح٥٩٤٦).

(٢) انظر: **معلم القرآن والأسس النفسية في منهج التدبر**، لهاشم الأهدل (٧).

(٣) صحيح البخاري (٤٧٤)، كتاب الصوم، باب صوم شعبان (ح١٩٧٠). صحيح مسلم (٥١٣)، كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، (ح٧٨٢).

المبحث السابع

طريقة السلف الصالح وحالهم مع التدبر

حال السلف الصالح مع القرآن الكريم هو حال المتدبر، فقد كانت طريقتهم في ذلك إمامًا لنا، وأمثلتهم أُنسًا لنا، وذلك هو سِرُّ تفضلهم علينا؛ لأن قراءتهم كانت عميقةً مدركةً للمعاني والمفاهيم، فكان القلب يتشبَّعُها بمثابة الوَقودِ للمحرك، فسبقوا بفعل الخيرات ما لا نستطيع أن نضاهيهم به، أو نفوقهم، وقد كانوا أكثر منَّا عملًا وأكثر إخلاصًا؛ ابتداءً من سيدِ الخلق وإمام المتقين ﷺ مرورًا بصحابته الكرام، ثم التابعين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، ومن كنوز أعمالهم في التدبر ما يلي:

أولًا: طريقة تدبرهم للقرآن الكريم: لقد علم السلف الصالح والجيل الفالح من الصحابة قيمة القرآن في حياتهم، فكانوا يهيئون أنفسهم لفهمه، ويعملون علىٰ تدبره؛ فقد ذكر أبو عمرو الداني بإسناده: «أن رسول الله ﷺ كان يُقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلىٰ عشر أخرىٰ حتىٰ يتعلموا ما فيها من العمل، فيُعلمنا القرآن والعمل جميعًا، وفي رواية أخرىٰ: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتَّىٰ نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها»(١)، وهذا التعامل علىٰ مَهَل مع القرآن الكريم هو الذي جعل قلوبهم تزداد إيمانًا وأعمالهم إخلاصًا، وجعلهم يتأملون معاني الذكر الحكيم، ويعرفون بها صفات الرب الكريم، فيسبقون بها إلىٰ جناتِ النَّعيم.

(١) **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو الداني (٣٣).

ثانيًا: تأثرهم بالقرآن حال تلاوته أو سماعه: كان حال هؤلاء السلف مع القرآن حال المتدبر الخاشع والمشفق الباكي، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فلقد نقل إلينا من تأثرهم بالقرآن قول عبدالله بن عروة بن الزبير ﷺ: «قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، كما نعتهم الله»(١)، فقد شهد لهم الله تعالىٰ بتأثرهم بالقرآن الكريم، وكفىٰ بها شهادة أنَّ الله قد ذكرهم في كتابه العزيز، الذي يُتلىٰ آناء الليل وأطراف النهار، تُذكر فيه صفاتهم وتُتلىٰ بكل حرف حسنة وأجر، فإن هو تدبرها كانت له نِبراسًا ونموذجًا من أبهىٰ النماذج البشرية للحياة الهنية.

ثالثًا: عملهم بالقرآن الكريم: كان عمل السلف بالقرآن هو السؤدد الذي رفعهم، والدستور الذي سيَّرهم، ودلائله عليهم أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر، لكنْ نقتصر علىٰ بعضها؛ قال زيد بن أسلم: «لـمَّا نزَل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البقرة: ٢٤٥]؛ قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «يريد أن يدخلكم الجنة به»، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضًا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟ قال: «نعم»، قال: فناوِلْني يدك. فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتَيْن، إحداهما بالسافلة، والأخرىٰ بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضًا لله تعالىٰ. قال رسول الله ﷺ: «**اجعل إحداهما لله، والأخرىٰ دعها معيشة لك ولعيالك**»، قال: فأُشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالىٰ، وهو حائط فيه ستمئة نخلة. قال: «إذًا يجزيك الله به الجنة»»(٢)، فهذا هو صنيع من يبيع دنياه من أجل آخرته،

(١) **الجامع لشعب الإيمان**، لأبي بكر البيهقي (٣/ ٤١٧).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٤/ ٢٢١).

اشتروا الجنة بأثمانٍ فانية من الدنيا، رضوا بالقليل من الدنيا، ولم يُرضهم من الآخرة إلَّا الفردوس الأعلىٰ من الجنة، تعبَ والله من سابقهم إليها، ما أشح النفس علىٰ الخير! وما أتبعها للهوىٰ، تبخل علىٰ نفسها بنفسها، وتبحث عن راحتها بشقائها، وعن سعادتها بتعاستها، قد قُلبت عليها الدنيا وعُكست، فلم تَنَلْ من الدنيا شيئًا لتربح، ولا الآخرة حصَّلت.

الخاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع: (تدبُّر القرآن الكريم وآثاره) خَلُصنا إلىٰ جملةٍ من النتائج:

١. فهم ما يُتلىٰ من القرآن هو طريق الوصول إلىٰ التأثير الفعلي علىٰ القلب والبدن، فيما يجلب للعبد الراحة والسكينة والطمأنينة.

٢. من أنواع هجر القرآن الكريم؛ هجر فهمه، وهجر التداوي به، وكلما أقبل القلب بالفهم والوعي والتدبر، زاد ذلك من حلاوته عند القراءة، فيزيد نفعه وبركته في حياة العبد.

٣. المقصود بتدبر القرآن ليس فقط القراءة للوِرد، أو حُسن التلاوة للقرآن، فذلك -وإن كان مطلوبًا- فإن الغاية منه أبعد من ذلك؛ من خشوع وخضوع والتزام لأوامر الله ونواهيه.

٤. تدبر القرآن وتركيز الذهن في قراءته من أقوىٰ العلاجات؛ فهو يشفي من كل شبهة وجهالة، ومن كل شهوة وذنب، وهو شفاء القلوب من أدوائها، والأبدان من أسقامها، وله أثر عظيم علىٰ النفس والروح؛ لمن أحسن التداوي به، وكمل تصديقه وإيمانه وثقته بالله، فهو صاحب الشفاء والأمر بيده سبحانه.

٥. المتدبرُ للقرآن مع زمرة الأتقياء والسعداء، الذين علِموا مُراد التشريع ومقصدَ التكليف، فذكروا الله كثيرًا وارتقوا مع الملائكة في ذكرهم لربهم جل في عُلاه؛ الذين: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فتدبر القرآن مقامه رفيع، وشأنه عظيم، قد رفع المؤمن به قدره، وصان به نفسه، ولا يُوفق لذلك إلَّا من وفق.

٦. أكبر عائق في فهم القرآن وتدبره هو الجهل والغفلة والذنوب، وكذلك الكفر والنفاق وسوء السريرة؛ فهي تبعد عن الفهم والتقرب إلىٰ مقامات الربانيين العارفين، فالإنسان علىٰ حسب نيته وطهارة قلبه، ومن جاهد في الله فإن الله يهديه إلىٰ سبل الرشاد وسبل الخير كله.

٧. من أهم ثمار تدبر القرآن الكريم زيادة الإيمان بالله والتفكر في ملكوته وعظمته، وهذا يقوِّي قلب الإنسان ويجعل له نورًا، ويطرد عنه الشياطين وكيدهم، كما يحميه من كل شر، ويجلب له الأرزاق.

٨. أن فهم دين الله ﷻ علىٰ الوجه الذي يحبه الله ويرضاه هو علاج النفس البشرية وشفاؤها من كل داءٍ، وصحتها من كل مرض، فالذي خلقَ هو من يعلم نقطة الضعف والمرض، ونقطة الصحة، والصانع أدرىٰ بصنعته، ولهذا فاتخاذ قول الخالق هو الحلُّ المضمون لكل مشكلة، وهو المنظار الإيجابي في الحياة، فسلفنا الصالح لم تكن تسمع بهم الأمم الأخرىٰ، ولم يكن لهم وزن، ولم تقم لهم قائمة؛ إلَّا بعدما فهموا وتدبروا وتشبثُوا بالقرآن الكريم والسُّنة النبوية، فهذا هو عزهم الذي أعزهم الله به، وأذلَّ غيرهم بفقده.

التوصيات:

١. يوصي الباحث بفتح مراكز علمية للتدبر؛ بغية إنشاء جيل ربَّاني يتعلم أصول التدبر وقواعده، فإن لم تكن مراكز خاصة للتدبر، يقترح إدراجها مع أقسام التحفيظ، وتكون حلقات حفظ وتدبر، وذلك أكمل وأفضل، فحفظ الذكر يحتاج معه إلىٰ فهم وتدبر للمعنىٰ، وعمل به.

٢. كما يحث الباحثُ المدرسين والأئمة والوعاظ علىٰ الاهتمام في دروسهم ومحاضراتهم وخطبهم بالتكلم عن التدبر وطريقة الوصول إليه، فالملاحظ في

المساجد والمنتديات والندوات وغيرها أن موضوع التدبر قلَّما يُذكر، وهذا دليل علىٰ فقد الأمة لأهم أسباب حياتها.

٣. كما يوصي الباحث من أُوتي درجة من العلم، وكان ممن اختصهم الله بتفقه كتابه وتدبره أن يُعلِّم الناس مما آتاه الله من فضله؛ فيُبينُ لهم ولا يكتُم ما يحتاجون إليه من أمر دينهم وكتاب ربهم، ولا يبخل علىٰ نفسه وعلىٰ إخوانه، بتبيين الحق من الباطل، وتحبِيب كتاب الخالق إلىٰ الناس.

٤. ومما يوصي به كذلك: أن يتم توظيف التدبر في بناء المنهج الوسطي للدين، بعيدًا عن التطرف والفهم المنحرف، والأعمال المشوهة للإسلام، وذلك من خلال نشر غايات التدبر وأهدافها بين الشباب؛ لحمايتهم من الغلو الفكري.

هذا؛ ونسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا تدبر كتابه، والتلذذ بتلاوته ومناجاته، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجلة تدبر

فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. «**آثار ابن باديس**». ابن باديس، عبدالحميد محمد الصنهاجي. ط١. تحقيق: عمار الطالبي. الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٣. «**أخلاق أهل القرآن**». الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين. ط٣. تحقيق: محمد عمرو بن عبداللطيف. لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

٤. «**الأذكار النووية**». النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف. ط.خ: محمد الفياض البارودي. تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط. دمشق: دار الملَّاح ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م.

٥. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. د.ط. جدة: مجمع الفقه الإسلامي، دار عالم الفوائد. د.ت.

٦. «**أفلا يتدبرون القرآن**». ناصر العمر. ط١. الرياض: دار الحضارة ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١م.

٧. «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**». ابن تيمية، ط٢. تحقيق: ناصر بن عبدالكريم العقل. الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

٨. «**البرهان في علوم القرآن**». الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. ط٣. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر/ القاهرة: دار التراث ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩. «**البيان في عد آي القرآن**». الأندلسي، أبو عمرو الداني. ط١. تحقيق: غانم قدوري الحمد. الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

١٠. «**التبيان في آداب حملة القرآن**». النووي. ط٤. محمد الحجار. لبنان/ بيروت: دار ابن حزم ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

١١. «**التحرير والتنوير**». ابن عاشور، محمد الطاهر. د.ط. تونس: الدار التونسية ١٩٨٤م.

١٢. «**تدبر القرآن الكريم**». التويجري، عبداللطيف بن عبدالله. ط١. الرياض: مكتبة دار المنهاج ١٤٣٦هـ.

١٣. «**تدبر القرآن**». السنيدي، سلمان بن عمر. ط٢. كتاب البيان: سلسلة تصدر عن مجلة البيان ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

١٤. «**تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**». السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين. د.ط. لبنان – بيروت: دار الفكر ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١١م.

١٥. «**تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**». الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير ط١. تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. القاهرة: دار هجر ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

١٦. «**تفسير القرآن العظيم**». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ط٢. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. المملكة العربية السعودية/ الرياض: دار طيبة. ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

١٧. «**تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**». الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. ط٣. تحقيق: خليل مأمون شيحا. لبنان – بيروت: دار المعرفة ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م.

١٨. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**». السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. ط١. تحقيق: سعد بن فواز الصميل. الدمام: دار ابن الجوزي، ربيع الثاني/ ١٤٢٢هـ.

١٩. «**جامع بيان العلم وفضله**». القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري. ط١. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٠. «**الجامع لأحكام القرآن**». القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر. ط١. تحقيق: عبد بن عبدالمحسن التركي. مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢١. «**الجامع لشعب الإيمان**». البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. ط١. تحقيق: مختار أحمد الندوي وآخرين. المملكة العربية السعودية/ الرياض: مكتبة الرشد. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢. «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**». الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله. د.ط. القاهرة: دار الفكر ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣. «**دليل فهم القرآن المجيد**». العتيبي، أبو عبدالملك أحمد بن مسفر بن معجب. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٤. «**رسائل ابن حزم**». ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي. ط٢. تحقيق: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٧م.

٢٥. «**روح المعاني**». الألوسي، محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت.

٢٦. «**زاد المسير في علم التفسير**». ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد. ط١. لبنان/ بيروت: المكتب الإسلامي، دار ابن حزم ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٧. «**سنن ابن ماجه**». ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. د.ط. تحقيق: محمد عبدالباقي. دار إحياء الكتب العربية. د.ت.

٢٨. «**سنن الدارمي**». الدارمي، أخرجه أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام. ط١. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الرياض: دار المغني ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٩. «**صحيح البخاري**». البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي. ط١. دمشق/ بيروت: دار ابن كثير ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٠. «**صحيح ابن حبان**». ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد. د.ط. ترتيب: علاء الدين بن بلبان. تحقيق: جاد الله بن حسن الخدَّاش. لبنان: بيت الأفكار الدولية ٢٠٠٤م.

٣١. «**صحيح مسلم**». مسلم، أبو حسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. ط١. الرياض: دار طيبة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٢. «**العقد الفريد**». ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد. ط١. تحقيق: عبدالمجيد الترحيني. لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣م.

٣٣. «**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ط٤. تحقيق: يوسف الغوش. لبنان/ بيروت: دار المعرفة ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٤. «فضائل القرآن». **الهروي، أبو عبيد القاسم سلَّام**. د.ط. تحقيق: **مروان عطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين. دمشق/ بيروت: دار ابن كثير**. د.ت.

٣٥. «**كيف نتدبر القرآن**». زمرلي، فواز أحمد. ط٥. بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٤هـ.

٣٦. «**ليدبروا آياته**». مجموعة من المؤلفين. ط٢. الرياض: مركز تدبر للدراسات

والاستشارات، المجموعة الرابعة ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.

٣٧. «**مجموع الفتاوى**». ابن تيمية، تقي الدين أحمد. ط٣. تحقيق: عامر الجزار، أنور الباز. دار الوفاء ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٨. «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**». ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب. ط١. تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد. لبنان/ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

٣٩. «**مختصر منهاج القاصدين**». ابن قدامة، أحمد بن عبدالرحمن المقدسي. ط٩. تحقيق: زهير الشاوش. بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٠. «**معالم التنزيل**». البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ط١. لبنان/ بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

٤١. «**مفاتيح الغيب**». الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر. ط١. بيروت: دار الفكر. ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

٤٢. «**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**». ابن القيم. ط١. تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد. مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الخيرية. جدة/ مجمع الفقه الإسلامي ـ منظمة المؤتمر الإسلامي: دار عالم الفوائد ١٤٣٢هـ.

٤٣. «**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**». المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام. ط٣. الهند – الجامعة السلفية بنارس: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

٤٤. «**مسند الإمام أحمد بن حنبل**». ابن حنبل. ط١. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (إشراف). بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

٤٥. «**معجم التعريفات**». الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. د.ط. تحقيق: محمد الصديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة ٢٠٠٤م.

٤٦. «**معجم مقاييس اللغة**». ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء. د.ط. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار الفكر ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

٤٧. «**معلم القرآن والأسس النفسية في منهج التدبر**». الأهدل، هاشم بن علي. د.ط. د.ن. د.ت.

٤٨. «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**». حنتوس، سعد بن أحمد. د.ط. مركز المعين. د.ت.

٤٩. «**مفاتيح للتعامل مع القرآن**». الخالدي، صلاح عبدالفتاح. ط٢. دمشق: دار القلم ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

٥٠. «**مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**». الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. ط٢. دار ابن الجوزي، شوال ١٤٢٧هـ.

٥١. «**مناهج البحث العلمي**». محمد سرحان علي محمود. ط٣. صنعاء: دار الكتب ١٤٤١ هـ/ ٢٠١٩م.

٥٢. «**نظرة في تدبُّر الوحي**». طارق زوكاغ. مجلة البيان. قضايا تربوية، العدد ٢٧٩.

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ٢٣

موضوع البحث ٢٣

أهداف البحث ٢٣

مشكلة البحث ٢٣

نتائج البحث ٢٤

المقدمة ٢٧

المبحث الأول: مفهوم التدبر في اللغة وفي اصطلاح المفسرين ٣٢

المبحث الثاني: حكم التدبر ٣٦

المبحث الثالث: أهمية تدبر القرآن الكريم ٣٩

المبحث الرابع: ثمار تدبر القرآن الكريم ٤٢

المبحث الخامس: أصول تدبر القرآن الكريم ٤٤

المبحث السادس: موانع تدبر القرآن الكريم ٥٧

المبحث السابع: طريقة السلف الصالح وحالهم مع التدبر ٦٠

الخاتمة ٦٣

فهرس المصادر والمراجع ٧٦

فهرس الموضوعات ٧٣

مجلة تدبر

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (10) Year 5 / Rajab 1442 AH, corresponding to February 2021

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Contemplating the Noble Quran and its Impacts**
  Mohammed El amine Amir
- **Manifestations of the Blessing of Prepared Paths in the Light of the Surah Al Nahl**
  Mahmoud bin Abdel-Jaleel Rezan
- **The Rhetorical Aspects in the Surah Al Fatiha (An Analytical Study)**
  Dr. Mohammad Waseem Khan
- **The Quranic Verses Referring to the Affliction with Distress and Ailment in the Surah Al An'ām: (42-45) Commentary and Spiritual Conclusions**
  Dr. Musad bin Massad Al-Hussein
- **References to the Proprieties and Guidelines Contained in Muqaddimah Ash-Shaatibiyyah**
  Dr. Taariq bin Sa'eed Abu Rub'ah As-Sihli AL-Harbi
- **A report on a scientific thesis entitled "Contemplating the Noble Qur'an from the viewpoint of Imam Ibn Al-Qayyim, may Allah have mercy on him: A Fundamental Study",**
  Researcher Abdul-aziz bin Hussein Al-Wathlan
- **A report on Tadabbur Magazine for five years (from 1438 to 1442/2016-2021)**
- **A report on the First Tafseer (i.e. Quran Exegesis) Forum, held in the State of Kuwait entitled "Mathani", organized by the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs**

25 SR

1658-7642